

شُبُهَةُ الْمَسِيرِ وَالْمُخَيَّرِ .. وَشَاءَ اللَّهِ وَشَاءَ الْعَبْدِ . الْقَضَاءُ وَالْقَدْرُ

قال الله تعالى:

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لِنَا أَنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنُّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَحْرُصُونَ﴾ ١٤٨

﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ١٤٩

1. المعنى العام

احتجاج المشركين بالقدر على شركهم (لو شاء الله ما أشركنا) شبهة باطلة؛ لأن الله شاء كوناً " اراده كونه" ابتلاء الاختيار، لكنه لا يرضى بالشرك شرعاً " الاراده الشرعيه. " الحُجَّةُ لله بالغة:

بيِّن بالوحي وأقام الدليل وأسند إلى العقول، فلا تصلح المعصية أن تتخذ ذريعة بالقدر.

2. الفرق بين الإرادة الكونية والشرعية

الإرادة الكونية القدرية:

ما يقع في العالم بحكمته تعالى، أحبه الله أم لم يُحبه، كوجود الكفر والمرض والفتن؛ تقع للابتلاء والتمييز. دليلها:

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا﴾.

الإرادة الشرعية الدينية:

ما أمر الله به وأحبه ورضيه لعباده من الإيمان والطاعات. دليلها: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾. فالله قد يشاء كوناً وقوع الكفر امتحاناً، لكنه لا يريد شرعاً ولا يرضاه لعباده.

3. أركان القضاء والقدر الأربعة

الأول العلم: علم الله الأزلي المحيط بكل شيء.

الثاني الكتابة: كتب المقادير في اللوح المحفوظ.

الثالث المشيئة: لا يكون شيء إلا بمشيئته.

الرابع الخلق: خلقه تعالى للعباد وأفعالهم.

فكل فعل يفعلُه الإنسان: عَلِمَهُ اللهُ قبل خلقه، و كَتَبَهُ، و شَاءَ وقوعه، و خَلَقَهُ.

ومع ذلك فالعبد فاعلٌ مختارٌ حقيقةً، له إرادة وقدرة مخلوقتان لله، ويحاسب على اختياره بعد قيام الحُجَّة.

4. مسألة الزمان وعلم الله

تعاقب الماضي والحاضر والمستقبل وصفٌ لعالمنا، أما الله عز وجل فلا يحده زمان ولا مكان؛ فعلمه بالماضي والمستقبل سواء. والماضي والحاضر أمر بشري نسبي ... لأن الله خلق الزمان فلا فرق عند الله بين ما ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان سوف سيكون. إذا فهم العبد ذلك لأنه عرف ربه زال الالتباس.

فلا تعارض بين علمه السابق ومسؤولية العبد عن اختياره في زمن الابتلاء.

5. مسألة تزيل اللبس: تداخل اختيارات العباد مع أقدار غيرهم

على سبيل المثال. أنت مخيرٌ في أن تتصدق أو تمسك؛ هذا مجال التكليف.

لكن وصول الصدقة "الرزق" إلى الفقير قَدْرٌ مسيرٌ له؛ يبلغه الله بما شاء من أسباب، ومنها اختيارك الحر للصدقة. ففعل الصدقة اختيارك الحر .. علمه الله وكتبه وشاءه وخلقها، فالله خلق فعلك لأنه هو من رزق الفقير ...

قضاء الله في الكون يستوعب جميع ما سيختاره العباد، فلا يخرج شيء عن سلطان مشيئته.

6. لا مشيئة للعبد إلا بمشيئة الله

﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾.

مشيئة الله تعالى مطلقة محيطية بكل قولٍ وفعلٍ، وهذا لا يلغي اختيار العبد بل يحدّه بإطار الحكمة والامتحان.

7. مثال تقريبي على «الكونية» و«الشرعية» (وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى)

المقصود تقريب الفهم لا القياس على الله؛ فالله جلّ جلاله لا يُشَبَّهُ بخلقه.

يُراد بالأمثلة بيان الفرق بين إرادتين: إرادة تحبّ المراد وتأمّر به، وأخرى تُجرى ما يقع في الواقع لحكمٍ عليا.

التقريب:

أراد معلّمٌ لجميع طلابه النجاح محبّةً ومقصدًا، فوضع امتحانًا عادلاً وأتاح أسباب التفوّق.

بعض الطلاب اختاروا أن يذاكروا فنجحوا، وآخر اختار التفريط فرسب.

وقوع الرسوب لا يعني أن المعلّم أحبّ الرسوب، بل يعني أنه أجرى نظام الامتحان وعدّل النتائج بحسب اختيارات الطلاب. فنقول شاء المعلم ان يرسب الطالب بالعدل والحكمه بالرغم من انه احب له النجاح.

فاختيار الطالب للرسوب لا يخرج عن «مشيئة» المعلّم من جهة إقرار نظام الامتحان وتصحيحه.

ملاحظه.. يجب الحذر من ايراد الامثله .. ولا يوجد مثال من عالمنا ينطبق على ملكوت الله.
والفارق الجوهرى:

هذا مثال ناقص للتقريب؛ أما الله فلا يُسأل عما يفعل، وعلمه أزلي محيط، وهو خالق العبد وقدرته واختياره، ومع ذلك فالعبد مكلف مختار يُثاب ويعاقب. والمثال لا يرقى إلى حقيقة قدر الله ولا كمال صفاته، وإنما يُقصد به إبراز أن ما يحبه الله شرعاً قد يخالف ما يجريه كوناً لحكم بالغة لا نعلمها ولا نحيط بعلمه ولكن نؤمن به وبكلامه من غير كيف ولا متى ولا لماذا..
ويكفينا سؤال واحد..

من هو الله؟ فإن عرفت انجلى عن عقلك وقلبك ووجدانك اي تسأول .. ويبدوا عندها اي سؤال عن القضاء والقدر سؤال ساذج وبسيط... لكن هذا لعلم القلوب والوجدان لا علم العقول والكتب...

8. حديث «فيم العمل؟»

لما قال الصحابة: يا رسول الله، أفلا ندع العمل ونتكل؟؟

قال ﷺ:

اعملوا، فكلٌ ميسرٌ لما خُلق له،

ثم تلا:

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ - وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ - فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ

وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ - وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ - فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ الليل: ٥-١٠

المعنى: اعمل واختر؛ فمن صدق واتقى يسره الله لليسرى، ومن أعرض وبخل يسره لاختياره إلى العسرى.

الخلاصة التربوية

القدر ليس حُجَّةً على المعصية ولا ذريعة للكسل؛ بل أنت مسؤول عن اختيارك.

إذا وقع القضاء الذي لا حيلة لك فيه فمقامك الصبر والرضا.

اجمع بين الأخذ بالأسباب والتوكُّل، وبين رجاء رحمة الله والخوف من عدله؛ وبهذا تفهم معنى قوله: ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾

وتزول شبهة «لو شاء ما فعلنا.»

والله اعلم..

اجتهاد، ان اصببت فمن الله. وان اخطأت فمن نفسي ومن الشيطان . نستغفره ونتوب اليه.